من وصايا العلماء – رحمهم الله –، الشيخ أبوالعباس عادل منصور

http://ar.alnahj.net/audio/1709

كما صح في الحديث القدسي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيما يرويه عن ربه – تبارك وتعالى–، فنحمده ونثني عليه الخير كله أوفاه وأجزله أوله وآخره وله الحمد في الأولى والآخرة، ثم نشكر كل من سعى في هذا الخير، ونشكر إخواننا آل جار الله –وفقهم الله– على ما هيؤوا له أنفسهم ووفقهم إليه مولاهم –تبارك وتعالى– أن جعل على أيديهم مثل هذا الخير من إلتقاء الإخوة وتواصلهم وتذاكرهم، فإن الدال على الخير كفاعله، كما صح في الحديث، وربنا –عز وجل– يقول: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة:2]، ويقول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)) كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

وقد اختير أن يكون عنوان هذا اللقاء أو قبل أن أذكر العنوان أيضًا أُسَلِّس بالدعاء والشكر لجميع إخواننا وفقهم الله الذين حضروا سواء من أطراف مكة وساكنيها والمقيمين فيها أو من إخواننا من أهل الطائف أو من أهل جدة، فأسأل الله –تبارك وتعالى– أن يكتب للجميع خطاهم وممشاهم وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.

اختير أن يكون عنوان هذه الكلمة وهي كما يقال بظرفها الزماني إذ توافق فترة اختبارات وامتحانات لإخواننا الطلاب سواء في الجامعات أو المعاهد أو المدارس، سواء كان الاختبار للشخص نفسه أو لمن يليه من أبنائه لمن يلي شؤونه، ولا شك أن هذا في حد ذاته مُشغِل، والمشغول لا يُشْغل، فلذلك لهذا الظرف، ظرف الزمان، سيكون المطلوب أو المتعيِّن الاختصار، وإن كان الموضوع موضوعًا مهمًا جدًا وهو "من وصايا العلماء"، لا يخفاكم إن

شاء الله المنزلة العظيمة التي جعلها الله –تبارك وتعالى– لأهل العلم وعلى رأسهم أصحاب النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– والتابعون وتابعُ التابعين وأئمة الدين، الذين يرجع إليهم المسلمون في فهم دين الله –عز وجل– سواء كانوا من الماضين من السلف الصالح ومن لحق بهم أو كانوا من المعاصرين، فإن العلماء هم نجوم ومصابيح الأرض، وبهم يهدي الله – تبارك وتعالى– الخلق ويقمع الباطل ويقيم الحجة ويدفع الشبهة، إذ هم ورثة أنبيائه، ألا وإن العلماء ورثة الأنبياء، ألا وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وأهل العلم إذ يوصون بوصاياهم للأمة من بعدهم ولأبنائهم وللمتلقين عنهم فإنهم يأخذون ذلك كله من كتاب الله وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وآثار سلف هذه الأُمة، مع ما اكتسبوه من الخبرة والتجربة ومعالجة الناس في دعوتهم والإنكارِ عليهم وإرشادِهِم ونُصحِهم، ولا شك كما قلت أنَّ الموضوع كبير، والعلماء الذين نصحوا وصدقوا فيما نصحوا أيضًا كثير، ولكننا نحرص على أن نأخذ في كل بابٍ وصيةً أو وصيتين، منها ماهو عام ومنها ما هو خاص، منها ما يحتاجُهُ المسلِم في تدينهِ لرب العالمين، استقامته على دينِ الله –عزَّ وجلّ– ومنها ما يحتاجهُ المختص من طلبة العلِم والدارسين والباحثين، فأسألُ الله أن يُوفق إلى مافيهِ الخير والرشاد وقد اخترت لكم جُملةً من هذه الوصايا اسأل الله الكريم أن ينفعني وإياكم بها.

فمن ذلك الوصيةُ، ولاشك أن جميع هذه الوصايا هي ضمن الوصية الجامعة التي أوصى اللهُ بها عباده، وأوصى بها النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أصحابهُ وأُمتهُ من بعدهِم، ألا وهي الوصية تقوى الله –تباركَ وتعالى–: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء:131]، والنبي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ– لما استوصاهُ أصحابهُ، قالَ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ – رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُ وأرضاه–: ((وَعَظَنَا رَسُولُ الله– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ– مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ)) كيف لا؟ كيف لا يكونُ ذلك؟ والواعظ هو رسول الله–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– والموعوظ هي أطهر

القلوب بعد قلوب أنبياء الله ورسله، إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فاختار مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فأختار قلوب أصحابهِ لصُحبتهِ، قالَ ((وَعظنا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قفُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ؛ كَأَنها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ))، فنبتدأ بما ابتدأ به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلهِ وَسَلَّمَ- وننبهُ أنفسنا وإخواننا بتقوى الله -عزَّوجلّ — في السفرِ والحضَر، والسرِّ والعلن، والظاهِر والباطِن، والقولِ والعمل، تقوى الله الكلمة الجامعة لكل خِصال الخير نحتاجها في كل حال، ونحتاجُ إلى مراقبةِ الله-عزَّ وجلّ- وتقواه في كل ما نأتي وما نذَر، وما نفعل وما نترك، ثُمَّ الوصية الأولى التي نستفتحُ بها هذا المجلِس للإمام الشافعي المطَّلِبيّ محمد بن إدريس أبي عبدالله-رحمهُ اللهُ تبارك تعالى- فقال ... أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبهِ بإسناده "فقال حدثنا أبي"، وأنا أقرأ الإسناد، "قال: أخبرنا يونس بن عبدالأعلى قال: قال الشافعيُّ-رحمه الله-: "اعلم أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحُك فالزمه"، وقبل أنْ أُعَلِّق تعليقًا يسيرًا على هذه الوصية، أُنَبِّه للاحتياط ول إن شاء الله إن كلكم تعرفون هذا التنبيه التسجيل لهذه الكلمة ...، ومسموع بما قد رأيتم من الأجهزة، وأما التصوير فلا يَحِل،لا يجوز التصوير بهذه الأدوات أولًا لأحاديث التصوير الشديدة والوعيد الشديد، أو تسجيلها بفيديو، وخصوصًا إذا كان المتكلم لا يستجيز ذلك شرعًا، فهذا التنبيه.

يقول الشافعي-رحمه الله-: "ليس إلى السلامة من الناس سبيل"

لن يَخْلُوَ المرء من الضد ولو ** حاول العزلة في رأس الجبل

لا يُمْكن أنْ تَسْلَم مِن الناس، على أقل الأحوال لن تَسْلَم من ألسنتهم، ما سَلِم الله -عزوجل-، قد خَلَقَ الخليقة وأسْدَى النِعَم، وأوفاها على عباده، ومع ذلك قال فيه مِن خَلْقِه مَن قال، قالوا يد الله مغلولة {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

يَشَاءُ} [المائدة:64] –سبحانه وتعالى–، خَلَقَ الخَلْق فادَّعَوا إفتراءً عليه التعب فقال: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب} [ق:38]، وقال:{وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ} [الأحقاف:33]، وقالوا لما أمرهم ودعاهم إلى الإنفاق والإحسان إلى العِباد إحسانًا لأنفسهم، قالوا افتراءً على الله: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقّ} [آل عمران:181]، ولا سَلِمَ أنبياء الله–تبارك وتعالى–، وقد قصَّ الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء ما فيه العِظَة والعِبْرَة، مما لقاه أنبياء الله ورسله من أقوامهم من الإيذاء القولي والجسدي، من السجن إلى الطرد والإبعاد إلى القتل، وأخبار أنبياء الله وأصدق قصصهم في كتاب الله وفي صحيح السنة النبوية عن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، ولا سَلِمَ الصحابة ولا الأئمة، إذًا لن تَسْلَم من الناس مهما حاولت لابُد أنْ تكون على قناعةٍ تامّة أنّ السلامة من الناس أمرٌ مُتَعَذِّر، سواءً كنتَ في أمرٍ ديني تقوم به أو أمرٍ دنيوي، لن تَسْلَم من الناس ولو أصَبْت فيه، لن تَسْلَم، لو عملت عملًا دنيويًا وأتقنت وأَصَبْتَ فيه لن تَسْلَم من ناقد ولن تَسْلَم مِن ذامٍّ لِمَا صنعتَ، إذن استرح وأَرِح قلبك وانطلق في الخير الذي أنت فيه ولا تنتظر أنْ تكون مَحَل إجماع من الناس، أن تكون محل رضا {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: 17]، إذن ارح قلبك، ولا تنظر إلى الخلق هل يرضون أم يسخطون، ولكن انظر إلى الخالق –جل وعلا– وانظر في هذا الفعل، في هذا القول وفي هذا الموقف الذي تقفهُ هل هو ممّا يرضي الله –عزّ وجل– فأته، أو ممّا يسخط عليك الله فدعه ولو سخط عليك الخلق كلّهم، ولو سخط عليك الخلق كلّهم، وفي الحديث وقد روي موقوفًا ومرفوعًا ((من أرضى النّاس بسخط الله، سخط عليه وأسخط عليه النّاس ومن أسخط النّاس في رضا الله –عزّ وجل– رضي الله عليه وأرضى عليه النّاس)) فلا تطلب رضا الخلق، ولا تطلب أن تكون كما يُقال محل كلمة إجماع النّاس، بل إنّك لا سبيل لك إلى السلامة، لم يخلو المرء من الضد ولو حاول العزلة في رأس الجبل، لا تسلم، قال الشافعي –رحمه الله–: "ليس إلى السلامة من النّاس سبيل فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه"، انظر

الذي في صلاحك، صلاحك على **قسمين**: صلاح دينك، وصلاح دنياك، صلاح روحك وقلبك، وصلاح بدنك ((ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد الكل، إذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب)) متفق عليه حديث النعمان ابن البشير –رضي الله عنهما–، انظر الذي فيه صلاحك، وهذه وصية منهم في النظر ما فيه صلاحك كان يوصي العلماء بعضهم بعضا فيها، ومن ذلك قالوا كان العلماء يُكاتب بعضهم بعضًا في هذه الثلاث فيقولون: "من أصلح سريرته أصلح الله له علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين النّاس، ومن أصلح آخرته أصلح الله له دنياه"، وفي الحديث ((من كانت الآخرة همّه جمع الله عليه قلبه، أو قال: جمع الله عليه شمله)) هذا صلاح ((وآتته الدنيا وهي راغمة))، فألزمه، فانظر الذي فيه صلاحك، هذه الوصية مأخوذة من جملة أدلة شرعية من الكتاب والسنة، منها قوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلّم– كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: ((المؤمن القوي خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير))، وإنّي أرى أن حصر الحديث ووضعه على محلات ألعاب القوى والرياضة البدنية صرفٌ للحديث عن معناه إلى قوة الأبدان، وحمل الأثقال، وتنمية العضلات، لا، قوة الإيمان ليست المراد بها هذه الأعمال الرياضية والبدنية، هذه يشترك فيها البر والفاجر، بل والمؤمن والكافر، والكفَّار فيها أساتذة، بل ويشتركُ فيها الإنسان والحيوان، وتقام صراعات ومصارعات رياضية حتَّى بين الحيوانات بعضها بعضا، أو بين الإنسان من جهة، والحيوان من جهة أخرى، وهذا أمرٌ معروف، إذن القوة قوة الإيمان، معرفة بالله –عز وجل– والتصديق بأخبارِهِ ووعدِهِ ووعيده، وأسمائِهِ وصفاته، والعمل بذلك، وأحكامه –جلَّ وعلا– والعمل بذلك، ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَلا تَعْجَزْن))

تأمل هذه الوصية الجامعة، ((وَاحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ))، ((ما)) اسم موصول بمعنى الذي، وهو من أدوات العموم، أي احرص على كل ما فيه نفعٌ لك، سواءً كان هذا النفع دينيًا أم

دنيويًا، هذا إرشاد من النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم–، إذن فانظر إلى الذي صلاحك، ولا تلتفت إلى الناس، واجتهد وإلزم ما فيه صلاح قلبك، صلاح دينك، وصلاح دنياك، وهذه وصيةٌ عظيمة، ولكني كما قلتُ يا أخوة، اختصِرُ اختصارًا.

وإنَّ من السعي لصلاح الإنسان نفسه، وإصلاحها، اشتغاله بالعلم النافع، وبالأعمال الصالحة الزاكية، وإعراضُهُ عما لا يعنيه، ولا يفيده، ولهذا جاء في الحديث، وحسَّنهُ جمعٌ من أهل العلم، قولهُ –صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم–: ((إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ، تَرْكُهُ لِمَا لاَ يَعْنِيهِ))، سبحان الله، لهذا أقرأ هذه الوصية من عالِمٍ جليل مُعاصِر، وأنا لم أراعي في الوصايا الترتيب الزمني للموصي من أهل العلم، هذه الوصية للعلامة المحدِّث أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، المتوفى عام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة –رحمهُ الله رحمةً واسعة– ورفع درجاته في عليين، وهو يُعتبر من نوادر أئمة العصر، بل هو في مُقدَّمهم، عنايةً بعلم الحديث النبوي الشريف، ودراسةً له، وبحثًا عن طرُقِهِ ومرويات الأحاديث في المطبوع والمخطوط، والمصنفات والأجزاء والمشيخات وغير ذلك، من مصادر الحديث النَّبوي وآثار السلف الصالح –رضي الله عنهم–، فهو نادرة في قرونٍ تقدمت من القرون المتأخرة في هذا العلم، يوصي أبناءه وينصح عامة المسلمين وهذه النصيحة داخلة في إصلاح النفس وداخلة في الحرص على ما ينفع ونرى أننا بحاجة ماسة إليها خصوصًا في مثل هذه الأيام، يقول – رحمه الله– كما في سلسلة الهدى والنور يقول: "نصيحتي أن تستمروا بالدعوة وأن تبتعدوا عن السياسة فذلك خير لكم وأبقى", السياسة اليوم أصبحت كلمة تشتمل على معاني كثيرة، هذه المعاني منها ما هو حق موافق للكتاب والسنة، ومنها ما هو باطل مخالف للكتاب والسنة، وفي الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– قال – صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، ألا وإنه لا نبي بعدي)) الحديث، وفي المصنف لابن أبي شيبة بسند صحيح أن عمر –رضي الله عنه– شاور بعض الصحابة في إمرة رجل أمره على الكوفة فقال أحدهم:

"يا أمير المؤمنين أنه كيت وكيت، وإنه غير عالم بالسياسة" فعزله عمر وولى المغيرة ابن شعبة -رضي الله عنه- أحد أذكياء ودهاه أهل العرب و الإسلام -رضي الله عنه وأرضاه- وقبح الله من وقع في عرضه أو آذاه أو آذى غيره من إخوان من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أو من أزواجه أمهات المؤمنين، ولكن السياسة اليوم تضمنت مسائل كثيرة، منها المشاركة الفعلية والمتابعات الإعلامية والرصد للأخبار والتقارير والتحاليل والجرائد وأدوات نقل تلك التقارير والتحاليل من وسائل إعلامية مقروءة أو مرئية أو مسموعة، وتكوين الأحزاب وتنظيم التنظيمات القائمة على أساس المنازعة والمطالبة بالمشاركة في اتخاذ القرار السياسي والوصول إلى سدة الحكم, يقول هذا الإمام الذي ضم إلى علمه بالكتاب والسنة وآثار السلف الذي شهد له فيه أئمة الدنيا في زمانهم -رحمه الله- من مات منهم وسدد الله من بقى، ضم إلى ذلك علمًا آخر بواقيعه، واقع المجتمعات الإسلامية وما تغرق فيه من أنواع الجهل والبدع والضلال والآراء الفاسدة والأقوال الباطِلة وعلم بالجماعات الإسلامية التي قامت في تلك المجتمعات تُريدُ حسب ما تذكر إصلاح تلك المجتمعات والعودة بها إلى الريادة والقيادة للعالَم كله، فضم إلى علمه بالشرع هذين العلمين، فنصح أبناءه المشايخ العلماء وطلبة العلِم أن يستمروا في الخير، وأخذُ هذه النصيحة بلفظها العام لا بسببها الذي أُورِدتَ من أجلهِ، أنهُ ينصح بالإشتغالِ بما ينفع من الدعوةِ إلى الله -تبارك وتعالى- وتصفية الدين مما ... به وليس منه، من العقائد والأحكام والأقوال والعبادات، أُدخلَ في الدين أشياء كثيرة كثيرة كثيرة لا يعلمها إلا الله ليست هي من الدين، فأُعطيَت وصف الشرع والدين، ووصف السنة ووصف الإسلام، كما قالَ ابنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ-: "كَيْفَ أَنْتُم إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ ينشأ عليها الصَّغيرُ ويهرمُ عليها الكبيرُ, حتى إذا غُيرَت قال النَّاسُ غُيرَت سنَّةً"، "غُيرَت سنَّةً"، فإذن السعي الجاد في الدعوة إلى الله -عزَّ وجلّ- أيُها الإخوة، بعد التحصيل لأدواتِ ذلك، وسُبل النجاح في ذلك والتي أساسُها بعد الإخلاص لله -تبارك وتعالى- وابتغاء وجهه والإعراض والترك الكُلي للمطامع الدنيوية من خلال الأعمال الدعويّة، طلب

العلم، أساس ذلك كله بعد الإخلاص بلله- تبارك وتعالى- والإعتماد والتوكل عليه أن تطلب العلِم قبل أن تدعو الناس، لتعرف ماهو من الدين وما ليس منه، ولتعرف الفرق بين ما هو من الدين، فمن الدين الأركان، من الدين الواجبات، ومن الدين المستحبات، وتعلم أنَّ أشياء من الدين تَركُها يُؤدي إلى الكُفر، وأشياء من الدين مُخالفتُها توقعُ في البدعة، وأشياء من الدين تركها يُوقعُ في الكبيرة والمعصية، وأشياء من الدين من مُستحباتهِ تركها لا يُوجبُ إثما ولا فسقًا، إذن تعرف أولًا ما هو من الدين وما ليس من الدين، ثانيًا تعرف ما هو من الدين أين مرتبتهُ في الدين، ومرتبة المخالَفَة فيه حتى لا تغلو غلو المتطرفين المتنطعين، فتكونَ بذلك من الهالِكين، كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلهِ وسَلَّمَ-: ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)) نسأل اللهُ العافية والسلامة، فلا تشتغل، قال: "وأن تبتعدوا عن السياسة فذلك خيرٌ لكم وأبقى" اليوم الناس كلهم ساسة، لا تكاد تحضرُ مجلِسًا إلا وتجد في كل زاويةٍ مُحللًا سياسيًا، كلٌ اتكأ على متكاة وظنّ أنّ العالَم بين يديه، وأنَّ المواد المطروحة إعلاميًا صحيحة كفيلة بأن تُعطيهُ الرؤية الصائبة للواقع، فتجدهُ يخبط خبطة عشواء، خبطة عمياء، ويَخوضُ في هذا أو ذاك، ولهذا كُنتُ مُدعِّمًا هذه النصيحة بنصيحةٍ مِثلِها لِشيخنا العلامة الفقيه ابن عبدالله محمد بن صالح العُثيمين -رحمةُ الله تبارك وتعالى عليه- المتوفى عام إحدى وعشرين وأربعمئة وألف -رحمه الله-، وهي كانت في كتابه شرح رياض الصالحين، ولكن يبدو أني فقدت الورق، في شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -، لا بأس أن تكتب كلمة السياسة فستخرج لك ثلاث نتائج أو أربع فأتني بالأخير، فيقول الشيخ -رحمه الله تعالى- استعجل فائدته مُلخصًا وإذا حضرت قرأناها عليكم، يقول -رحمه الله- إن دخول الناس والعامة في السياسة وأمور الولاة وتحدثهم بذلك ليس هذا من اختصاصهم ولا من شؤونهم، بل هذا من خاض في هذه الأمور وهي ليست من اختصاصه، يقول الشيخ فقد ضل ضلالًا بعيدًا، وخالف الصحابة وهديهم أو خالف الصحابة وطريقهم -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، الخوض للعامة والصغار

وطلاب العلم في الأمور السياسية الخاصة بالولاة موافقةً أو اعتراضًا أو تصحيحًا، لا أقول نصيحةً؛ لأن النصيحة دالةٌ على سلامة القلب إذا بذلها العبد لإهلها بوسيلتها الشرعية، من عنده نصيحة فيتجه إلى المنصوح من ولاة الأمر ويعرضها عليه بالطرق المشروعة، بإخلاصٍ وإرادة خير وسريةٍ بينه وبين المنصوح، أما أن تكون الأحوال السياسية الداخلية والخارجية وأن تكون سياسة ولي الأمر الداخلية والخارجية تحت مجهر كل من هب ودب وسكنًا للدب هذا غير صحيح، وهذا نسميه الظلالة، وإشغال المسلم نفسه بما لا أقول ليس فيه صلاحه بل بما فيه الضرر عليه في دينه ودنياه، في دينه فهو الشيخ يقول فقد ضل، ما هددك الشيخ بجهاز أمني ولا بخسارة مادية فقط، ما جاء هذا الباب، ولكن قال من سلك ذلك فقد ضل ضلالًا بعيدًا، وخالف هدي الصحابة والتابعين وما كان عليه السلف الصالح، وجدتها؟ يقول – رحمه الله –: "وعامة الناس لا يصلحون لمثل هذه الأمور، ولا لإمور السياسة، وليس لعامة الناس أن ... ألسنتهم بسياسة ولاة الأمور، السياسة لها أناس والصحون والقدور لها أناس آخرون، ولو أن السياسة صارت تُلاقُ بين ألسنة عامة الناس فسدت الدنيا؛ لأن العامي ليس عنده علم وليس عنده عقل وليس عنده تفكير" هذا كلام شديد، نفوس كثيرة من العامة لا تتقبله، العامة يعجبها من يُطبل لها ولو كان سيوردها النار، شارك افعل، لك عقلك، لكن من يُعرِّف الشخص حجمه الحقيقي وقدره ومسؤولياته، لكل شخص في هذا المجتمع مسؤولياته المختصة به، فلا ينشغل عن مسؤولياته الخاصة به بالنظر في مسؤوليات غيره، عجيب! لو أن زميلين في دائرة واحدة وعلى مكتبين متجاورين، وهذا له ملف ينظر فيه من مديره وهذا له ملف ينظر فيه من مديره، فصاحبنا صاحب المكتب الأيمن مقفل ملفه وجالس يناظر في ملف زميله: "لا، لا تفعل، يا أخي انظر! افعل! ليش لونه أخضر؟ كان خليته أصفر، طيب لماذا تفعل كذا المدير يريد كذا؟"، انتهت المدة، طالَب المدير بالملفين، وإذا بالمكتب الأيسر سلَّم الملف والمكتب الأيمن مشغول ما سلَّم شيئًا، لماذا؟ لأنه شُغل بالنظر في ملف غيره عن النظر في الملف الذي بين يديه والعمل الموكل إليه، هذا خراب في

الدنيا، قال: "وليس عنده تفكير، وعقله وفكره لا يتجاوز قدمه، ويدل لهذا قول الله – تعالى-: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} [النساء:83] أي ونشروه، وقال –تعالى-: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء:83] دل هذا على أن العامة ليسوا كأولي الأمر وأولي الرأي والمشورة، فليس الكلام في السياسة من المجالات العامة"، أنا أعلم أن هذا الكلام غريب، لأن العالم اليوم خصوصًا مع وسائل الإعلام اليوم أصبحت الرؤى مغطاة بما يراه غيرنا لنا، لا بما أرشدنا إليه الناصحون من أئمتنا بما يوافق كتاب ربنا وسنة نبينا – صلى الله عليه وسلم -.

قال: "دل هذا على أن العامة ليسوا كأولي الأمر وأولي الرأي والمشورة، فليس الكلام في السياسة من المجالات العامة، ومن أراد أن تكون العامة مشاركة لولاة الأمور في سياستها وفي رأيها وفكرها فقد ضل ضلالًا بعيدًا" هذا واحد، "وخرج عن هدي الصحابة وهدي الخلفاء الراشدين وهدي سلف الأمة"، "فمن أراد أن تكون العامة مشاركة لولاة الأمور في سياستها وفي رأيها وفكرها فقد ضل ضلالًا بعيدًا"، لاحِظ الميزان الذي حكم به الشيخ، "وخرج عن هدي الصحابة"، قال الله –تعالى-: { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً } [النساء:115]، قال: "وخرج عن هدي الصحابة وهدي الخلفاء الراشدين وهدي سلف الأمة"، الجزء السادس صفحة 225 من كتاب شرح رياض الصالحين.

ولا شك أن هذا الحق على هذه الصفة شديد على كثير من الناس، وستكون غريبًا إذا دعوت إلى مثل هذا الحق، والفتن كثيرة ولهذا قال الشيخ –رحمه الله– أعني ابن عثيمين كما في شرح الممتع في المجلد الخامس صحيفة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال: "أوصي نفسي وإياكم أن نسأل الله دائمًا الثبات على الإيمان، وأن تخافوا؛ لأن تحت أرجلكم مزالق فإذا لم يثبتكم الله –عز وجل- وقعتم في الهلاك" فنسألُ الله-تبارك وتعالى-بأسمائه الحسنى وصفاتهِ العلى وباسمهِ الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِل به أعطى، أن يُثبّتنا وإيّاكم على الحقّ وبالقول

الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، وأن يُثبتنا وإياكم عاى دينه الذي ارتضاه وشرعه، ولقد كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبهِ وسلم-كثيرًا ما يدعو: ((اللّهم يا مقلِّب القلوب ثبّت قلبي على دينك))، ((اللّهم يا مُصرِّف القلوب صرِّف قلبي على طاعتك)) حتى قالت له إحدى زوجاتهِ: ((يا رسول الله)) وفي بعض الروايات أيضًا قال له بعضُ أصحابهِ؛ ولا مانع من التكرّر ((يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء! قال: وما يُؤمنُني؛ إنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلّبُها كيف يشاء)).

فنسأل الله الثبات على الحق، والثبات على الدّين، والثبات على هدي سلف هذه الأمّة إنّه وليُّ ذلك والقادر عليهِ، وهذا الثبات له أسباب وقد أوصانا أُئمّتُنا بأسبابٍ أيضًا وعلماؤنا؛ بأسبابٍ تُعينُنا على هذا الثبات منها: ما قاله الشيخ العلاّمة الإمام عبدالرحمن بن حسن آلِ محمّد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-، صاحب كتابِ فتح المجيد، فذكر كما في الدُّرر السَّنية، المجلد الرابع عشر، صفحة سبع وعشرين مئة، قال: لكن إذا حصل في البلدانِ طائفةُ حقٍّ يقومون بهِ، ويدعون إليهِ ويستحسِنون الحسن، ويستقبِحون القبيح، فهذه نعمةٌ عليهم وعلى أهل بلدهم، فالذي أوصيكم بهِ: أُصدُقوا مع الله وتعلّموا من العلمِ ما يُنجّيكم من شُبهات أهل الشكِّ والريب، فبالعلم واليقين تُدفع الشّبهات، ولله الحمد على بقاءِ طائفة الحقّ تدعو من ضلّ إلى الهُدى، وتصبِر منهم على الأذى والسلامة.

الصّدق مع الله -عزّ وجل-،كما قال النبيّ-صلى الله عليه وسلم-: ((صدق الله فصدقه الله))، قال الله-تعالى-:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة:119].

"الصدقُ سيفُ الله في الأرض ما وُضع على شيءٍ إلاّ قطعه"، ((ولا يزال الرجل يصدُق ويتحرّى الصدق)) هذا حديث الأخير هذا ((لا يزال الرجل يصدُق ويتحرّى الصدق الرجل يصدُق ويتحرّى الصّدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا)) متفقٌ عليه بحديث ابن مسعود.

وقول: "الصّدق سيفُ الله في الأرض"، قاله أحد السلف بحفظي أنه ... ابن مهران -رحمه الله تعالى-، الصّدق مع الله -تبارك وتعالى-، تصدُق مع الله في كلِّ أقوالك، في عبادتك في طلبك للعلم في تعلمك، أُصدق مع الله ابتغاء وجهِ الله -تبارك وتعالى-، من سأل الله الشّهادة بصدق، بلّغهُ الله منازِل الشُّهداء ولو مات على فراش، بأيّ شيءٍ بلغ؟ بحركةِ اللسان؟! بقول اللسان فقط؟! لا، بالصّدق مع الله في ... بقلبهِ، صدق مع الله لما طلب الشّهادة، فبلّغهُ الله ما تمنّاه وهو مات على الفراش! ورُبّ رجلٍ يخرجُ من المعركة في الحرِّ أو البرد ويُقتل ويدخلُ النّار، ويقاتل قتالًا في الظاهر، يجاهد الكفار، مو يقاتل المسلمين ويغدر بهم ويمكر فعل الخوارج المارقين، لا، الخارجي الهالك ... بقول الصادق المصدوق —صلى الله عليه وسلم- في كلاب النار، يرى قتله لأهل الإسلام جهادًا، والرسول -صلى الله عليه وسلم- يراها شهادة لأهل الإسلام، وخيرية لأهل الإسلام، فيكون خير الناس من قتلهم أو قتلوه، لكن نتحدث عن جهاد شرعي لكفار تحت قيادة ولي أمر شرعي ومع ذلك قد يخرج في المعركة ويُقتل ويذهب الى النار، ما الذي فقده؟ فقد الصدق مع الله، ولهذا حديث أبي هريرة في مسلم وغيره ((أن الثلاثة الذين تُسعر بهم النار)) في بعض الروايات ((أول من تُسعر بهم النار)) كما عند الترمذي وغيره، مجاهد وعالم ومتصدق، انظروا في شرف هذه الأعمال يا إخوة، عالم ينفع الله به الأمه فيعلم القرآن ويعلم الحديث، مجاهد يقطع الله به العدو ويعلي راية الإسلام حتى قُتل ويجاهد جهادًا شرعياً في الظاهر، ومتصدق أنفق أمواله وجاهد نفسه حتى أخرج الأموال، ولكن لا صدق لديهم، فيُعرّف الله -عز وجل- العالم والقارئ نعمه، فيُعرفه فيقول له: ((مافعلت؟ فيقول: يارب قرأت فيك القرآن وأقرأته وتعلمته فيك العلم)) يعني من أجلك ((وعلمته، فيُقال له: كذبت)) إذا ... ماذا فقد؟ الصدق مع الله، ((فيُقال له: كذبت ولكن تعلمت ليُقال عالم وقد قيل)) وصفك الناس بأنك عالم، كتبت عنك الكتابات بأنك عالم، سُجلت في سجل العلماء في الدنيا، ولم تُسجل في سجل العلماء عند الله -تبارك وتعالى- أبدًا، قد قيل ذلك ثم يؤمر به فيسحب إلى النار،

والمجاهد يُعرفه الله نعمه فيعرفها، فيقول: ماذا فعلت؟ فيقول: ((يارب قاتلت الكفار، قاتلت فيك أعدائك حتى قُتلت)) الكلام ليس عن قتاله حتى قُتل، القضيه كلها في كلمة فيك، ثلاث أحرف، يقول: ((أنا قتلت في المعركة فيك)) أي من أجلك، فيأتيه الجواب : ((كذبت))، هنا الكلام، كلمة فيك، ((ولكنك قاتلت ليقال جليد شجاع، فقد قيل)) ومدحت بذلك في الدنيا، ((فقد قيل))، ثم يؤمر به إلى النار، ويأتي الثالث متصدق بأمواله وعظيم عطاءه فيقول: ((يارب بذلت فيك وأنفقت فيك، قاله: كذبت ولكن أنفقت ليُقال كريم سخي وقد قيل)) فيُسحب إلى النار، والآخر كما في حديث سهل ابن سعد ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه)) لما في المعركة سحب على وجهه إلى النار وهذا مات على فراشه وطلب درجة الشهداء الأبرار، والعلة كلها في الصدق مع الله -تبارك وتعالى-، أصدق مع الله في كل ما تأتي يا عبد الله وما تذر، ثم قال: ((وتعلموا من العلم ما ينجيكم من شبهات أهل الشرك والريب)) لماذا؟ لأن بالعلم وباليقين تُدفع الشبهات، والوصايا من سلفنا إنطلاقًا من النصوص بطلب العلم كثيرة جدًا عن السلف الصالح، لكن هنا أهمية العلم، وللعلم فضل كبير في الشرع، ولكن من أهميته هنا أنه يدفع الشُّبهات ويقمع الباطل، ولكن ليس في هذا تحريضًا لنا أن نُقبل على الشبهات، وأن نُرْعِيَ لها أسماعنا، فما بهذا وصانا نبينا —صلى الله عليه وسلم- ولا لهذا نصحنا سلفنا الصالح —رضي الله عنهم-، يقول النبي —صلى الله عليه وعلى آله وسلم— بمعنى الحديث: ((مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فلْيَنْأَ عَنْهُ))، يبتعد عنه، ينأ : يبتعد، ((فوَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يُبعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ))، أو كما قال —صلى الله عليه وسلم-.

وبهذا الحديث احتج الأئمة على عدم سماع شبه أهل الباطل، ولهذا جاءت الوصايا عن السلف —رضي الله تعالى عنهم- في بيان المنع من التعرض للشبة، لا بقراءتها، ولا باستماعها، ولا بالخُلطة والمجالسة لأصحابها المروجين لها، ولكن قد تقذف لك الشبهة، أنت اليوم لست في بيئة نظيفة من الشبه، اليوم الطالب الصغير في المتوسطة وفي الثانوية، فإذا

بسطت معه الحديث وجدت عنده من الشبه ما الله به عليم، في أبوابٍ كثيرة من الدين، شبهٌ تُبث؛ لأن اليوم حمَّالة الشُّبه في جيب ولدك، وابنتك وزوجتك وأخيك، وأبيك وأمك، والعودة الكبيرة، جدة الجدة، اليوم خلاص، حمَّال الشبه هذا في جيوب الناس، فيأتي عن طريق الواتساب، ويأتي عن طريق غيره، أبناء يدخلون، وبنات يدخلن، يقرأون، يصلهم، إذن فُتح على الناس من الأبواب، ما يقتضي في زيادة التأكيد بالتحصن، ومن ضمن الوصايا في هذا الباب، وصيةٌ أوصى بها شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذه ابن القيم، يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى– كما في مفتاح دار السعادة في المجلد الأول، صحيفة ثلاث وأربعين وأربع مئة، يقول –رحمة الله عليه– : "وقال لي شيخ الإسلام –رضي الله عنه– وقد جعلتُ أوردُ عليهِ إيرادًا بعد إيراد،: "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها، ولا تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهةٍ تمر عليها، صار مقرًا للشبهات"أو كما قال)، يقول ابن القيم: "فلا أعلم أني انتفعتُ بوصيةٍ في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك"، يقول لا تخلها تقر هذه الشبه، لا تجعلها تُقِر، نسأل الله العافية والسلامة ، أو تقِر في قلبك، لهذا قال العلامة ابن بطة –رحمه الله– العكبري الحنبلي، كما في إبانتة الكبرى في المجلد الثاني صفحة أربعمائة وتسعة وستين، ، أنا اذكر لكم المراجع لتوثيق العلم، فإن العلم يحتاج إلى توثيق وإلى تأكد من مصادر، يقول: "فالله الله معشَرَ المسلمين، لاَ يحْملنَّ أحدًا منكم حسنُ ظنِّه بنفسِه، وما عهدهُ من معرفتِه بصحة مذهبِه، على المخاطرةِ بدينه في مجالسة بعضِ أهل هذه الأهواء، فيقول: أُداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنةً من الدجال، وكلامهم ألصقُ من الجرب، وأحرقُ للقلوبِ من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم، ويسبونهم, فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم, فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر, ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم"، الله –عز وجل– يقول: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:6]، الله أخبرنا وأمرنا، أخبرنا بأن الشيطان عدو، أنت الآن يا إنسان إذا أخبرك شخصٌ، ولله المثلُ الأعلى، إذا قال لك شخص فلان عدوك، وأنت تثق بخبره، هذا في العادة الطبيعية البشرية، كافٍ بأن تُبادلهُ العِدا، وتأخذ حذرك، وتأخذ احتياطك، أليس كذلك؟ لكن الله –عز وجل– لم يكتفِ في هذا الموطن بالخبر، ولكن أكَّدهُ بالأمر، فقال:{فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}، {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ} هذا الخبر، وفي الحقيقة، ولكن أعقبهُ بالأمر:{فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:6]، وقال –تبارك وتعالى– : {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} [الإسراء:53]، لهذا نحرص على الأُلفةِ وعلى المحبةِ بيننا وعلى الأخوة، لهذا هنا وصيَّة عظيمة، في الحقيقة في هذا الباب، أمَّا أوامر ربنا، وأوامر رسولنا –صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم– الحاثَّة والمؤكدة على الأخوة وعلى المودة وعلى الأُلفة، فلا تُحصى إلا بكُلفة، نصوص كثيرة في الكتاب وفي السُنَّة ((إنَّما المؤمِنُونَ إخْوَةٌ))، وقال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ}[الأنفال:1]، وقال تعالى: {لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء:114]، وقال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة:2]

والنصوص في هذا كثيرةٌ جدًا، أمرًا بالمودةِ والإئتلاف، ونهيًا عن ما يُخالفها أو ينقِضُها، أو يُزعزِع هذا الجدار العظيم، وهذا الواجب العظيم، وكذلك السُّنة مثل قولهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم– : ((مثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفِهم وتراحُمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتَكى منْهُ عضوٌ تداعى لَهُ سائرُ الأعضاءِ بالحمَّى والسَّهَرِ)) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير.

ومثل قولهِ –صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم– : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا))، متفقٌ عليه من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله تعالى عنه–، ومثل قوله – صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله وسلَّم–: ((إيَّاكُم والظَّنَّ ، فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديثِ ، ولا تحسَّسوا ، ولا تجسَّسوا ، ولا تحاسَدوا ولا تدابَروا ، ولا تباغَضوا ، وَكونوا عبادَ اللَّهِ إخوانًا))، والحديث

الآخر: ((المسلمُ أخو المسلمِ ، لا يظلِمُهُ ولا يخذلُهُ ، ولا يحقِرُهُ))، ((بحسبِ امرئٍ منَ الشَّرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المسلمَ))

وحديث أبي ثعلبة الخُشني: ((إنَّ تفرُّقَكم في هذه الشِّعابِ والأوديةِ إنَّما ذلكم مِن الشَّيطانِ))، وقولهُ – صلَّى الله عليهِ وسلَّم- :((الجماعةُ رحمة، والفرقة عذاب))

والنصوص في هذا كما قلت لكم لا تُحصى إلا بكُلفة، فعلينا بما أمرنا به ربُّنا، وأوصانا به نبينا –صلَّى الله عليه وسلَّم-، وأكَّد علينا في ذلك وأبدى وأعاد وشدد في الحرص على الألفة والمودة والائتلاف، ومن الوصايا في هذا الباب اقرأُ وصيتين:

الوصية الأولى: أوصى بها الإمام الشعبي عامر بن شراحيل، إمام أهل الكوفة، أوصى بها الأعمش على شكل إخبار، وقد رواه ... في مشيخته، صحيفة اثنين وخمسين منه كما أفادنا بهذه الفائدة بعض إخواننا جزاهم الله خيرًا، عن سليمان الأعمش قال: "قال لي الشَّعبي :"يا سليمان: إِنَّ كِرَامَ النَّاسِ أَسْرَعُهُمْ مَوَدَّةً" هذا الذي يعبرون عنه الآن يقول إيش؟ سريع في بناء العلاقات، يقول: "وَأَبْطَأُهُمْ عَدَاوَةً، وَأَبْطَأُهُمْ عَدَاوَةً" إذا أردت أن تجعله عدوًا لك بطيء، لا ينتقل من دائرة المودة إلى دائرة العداوة بالسهولة، مهما آذيته، مهما فعلت له من الأسباب التي تصنع منه عدوًا لك، إلا أنه بطيء الحركة، إذا حُرِّك إلى المودة تحرَّك بسرعة، وإذا حُرِّك إلى العداوات مع إخوانه أبطأ بطئًا شديدًا، قال: "إِنَّ كِرَامَ النَّاسِ أَسْرَعُهُمْ مَوَدَّةً وَأَبْطَأُهُمْ عَدَاوَةً، وَإِنَّ لِئَامَ النَّاسِ أَبْطَأُهُمْ مَوَدَّةً وَأَسْرَعُهُمْ عَدَاوَةً" من أقل شيء تعادي أخاه، من أتفه موقف يعادي أخاه، هذا لؤم في الطِّباع، لهذا قال: "وَمَثَلُ مَوَدَّةِ الكَرِيمِ كَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، بَطِيءِ الانْكِسَارِ سَرِيعِ الانْجِبَارِ" هذا الكريم جعلني وإياكم منهم، قال:

"بَطِيءِ الانْكِسَارِ سَرِيعِ الانْجِبَارِ، وَمَثَلُ مَوَدَّةِ اللَّئِيمِ كَالفَخَّارِ سَرِيعِ الانْكِسَارِ بَطِيءِ الإِنْجِبَارِ"

آنية الفخار بسرعة تنكسر، ويريد لها وقت حتى تنجبر، ولكن آنية الذهب والفضة بطيءٌ كسرها وسريعٌ أن تشعبها وأن ...، فعلينا أن نحرص على المودة، وعلى الأُلفة على الحق، والتواصي به، وعدم التفرق، ولهذا كان هناك وصية، أوصى بها الشيخ العلامة الدكتور ربيع هادي المدخلي –حفظه الله– ختم لنا ولكل كل خير، ليلة الخميس العاشر من شهر ربيع الأول، يعني قبل كم ليلة؟ ست ليال، إلى أبنائه في العالم، فاستسمحكُم أن أقرأ منها فقرات مختصرة، قال–حفظه الله– بعد الحمد والصلاة على النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– :

"أما بعد فإني أوصي نفسي وإخواني وأبنائي السلفيين في مشارق الأرض ومغاربها وفي سريلانكا، حيث طُلب مني أن أوجه لهم هذه النصيحة، أنصح نفسي وإياهم بتقوى الله – تبارك وتعالى– والإخلاص لله في كل قول وعمل، والجد في طلب العلم؛ لأننا لا نفهم الإسلام حقَّ الفهم إلا إذا شمَّرنا عن سواعد الجِدْ في طلب العلم"، وهنا سؤال ... هنا سؤال من أين يطلب الناس العلم؟ وهل كل من سلك طريقًا ظنه للعلم قد سلك طريقًا صائبًا؟

جاء الجواب في نصيحة الشيخ مباشرة، قال: "وطلب العلم من كتاب الله، ومن سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وحفظ ما نستطيع حفظه والتفقه فيهما، ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيرًا يفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) [البخاري (71) ، ومسلم (1037)]، فتعلموا أيها الشباب، شمِّروا عن ساعد الجد في طلب العلم، وتفقهوا في كتاب الله وسنة رسوله، واستعينوا على التفقه بكتاب الله وسنة رسوله، بفقه الصحابة والسلف الصالح –رضوان الله عليهم–، وأوصيكم بالتآخي فيما بينكم، والتَّلاحم والتعاطف والتراحم، حتى تصيروا كالجسد الواحد"

ثم ذكر بعض الأحاديث التي سبق أن ذكرتها، ثم قال : "فتآخوا فيما بينكم، وابتعدوا عن أسباب الخلاف، وأسباب الشقاق، فإن الشيطان يركض ليُفرِّق أهل السنة، ويغوي بعضهم ببعض، فاحذروا مكائد الشيطان، ولا تسترسلوا مع العواطف، بل تعقَّلوا وعليكم بالصبر والحلم، فإذا نيل من أحدٍ شيئًا فعليه بالصبر، وعليه بالحِلم، ولا يتسرَّع في ردود الفِعل، كما يحصُل الآن من بعض الشباب فتعلموا الحِلم والصَّبر، والحكمة في القولِ والعمل"

وهذه من الوصايا الكبيرة، وهذا المعنى موجود عند الشيخ في عدة رسائل، ومواقف يحث على الألفة والمودة على الحق، ولهذا من ذلك قوله في (الذريعة إلى شرح كتاب الشريعة) للآجري، في المجلد الثاني صفحة خمس مئة وتسع وثمانين: "لا تدخلوا في متاهات التحزب والتعصب لفلان وفلان، تمزقتِ السلفية بهذه الأساليب، وسرَّها إليكم الحزبيون، ووجدوا في كثيرٍ منكم تقبُّلاً لمثل هذه الأمور، اتركوها -بارك الله فيكم-" الوصية بالائتلاف والألفة والمودة، هذه جملة من الوصايا العامة، وثمة وصايا كنت قد اقتنصتها لنفسي، ثم لإخواني خاصة بالبحوث الحديثية، وكتابة الحديث، والتأليف والتخاريج من كتب إمام هذه الصنعة والفن والعِلم، العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني، ولكن يبدو أنها ستختار أو سيختار الله -تبارك وتعالى- والله أعلم، يبدو أنها سيكون لها موضع آخر غير هذا الموضع، والله تعالى أعلم.

المقدِّم: جزى الله فضيلة الشيخ عادل خير الجزاء على ما قدَّم، نسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناته وأن يُثيبه إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

الأسئلة: (غير واضح)

الشيخ عادل منصور:

جزاك الله خيرًا، الأخ أحب أن يفتح باب المحاورة يعني للفائدة، والأسئلة والأجوبة من باب المحاورة، ... أعني النصائح في باب كتابة الحديث وعدم التعجل.

السؤالان في الحقيقة يتجهان وجهةً واحدة، وهي بيان ما هي السياسية الشرعية؟

السياسية الشرعية: كل ما لم يخالف الشرع مما يصلِح الله به دنيا الناس؛ لأن من الناس من ظنَّ أن السياسة الشرعية كل ما جاء منصوصًا في الشرع في الكتاب والسنة، وعليه ضيقوا

دائرةً وسَّعها الله، وهذا جاء به بعض الفقهاء فكانوا سببًا في انفلات كثير من الساسة من قديم الزمان، عن الشرع؛ لأنهم تصوروا أن الشرع وأحكامه ليست كافية في إصلاح شؤون الناس، ودنياهم، ومصالحهم، ومعاشهم.

وقابلهم طرفٌ ثانٍ، طرفٌ آخر، زعموا أن كل ما تحقق للناس فيه من مصلحة دنيوية، فثمَّةَ شرعُ الله ولو خالف العشرات من النصوص، الكتاب والسنة، فجعلوا المدار على مجرد أن يكون نافعًا للناس فإذا كان نافعًا للناس فهناك الشرع، لا، الحق الوسط، وقد أبان هذا الأمر بيانًا واضحًا للإمام أبو عبد الله ابن القيم الجوزية -رحمه الله-، في رسالته مطبوعة بعنوان : (الطرق الحكمية في السياسية الشرعية)، وكذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في رسالته المعروفة: (السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)، وهي كانت نصيحة منه اقتضاها الأمر بنصيحته لأحد ولاة الأمر في زمنه -رحمه الله-.

فالأمر الوسط أننا نقول السياسة الشرعية ليست ما جاء منصوصًا فقط، ولكن السياسية الشرعية يُشترط لها أمران:

الأمر الأول: أن تتحقق فيها المصلحة الراجحة، ليش؟

لأن ليس كل شيءٍ فيه مصلحة، صلُح للناس ولو في أمور الدنيا، حتى عند الكفار وعند أهل الأرض، ليس كل ما فيه مصلحة ولو كانت أدنى شيئ، لا، لا بد أن تكون المصلحة إيش ؟ راجحة.

تأمل في الواجبات الشرعية، إما أن تكون مصلحته خالصة محضة، وإما أن تكون مصلحته أرجح من مفسدته {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢١٦].

كذلك في جانب المحرمات والمنهيات، فالمحرمات منها ما هو محرم لأن مفسدته خالصة، ما فيه ولا شائبة مصلحة، ومن المحرَّمات ما حرِّم لأن مفسدته أكثر من مصلحته، إذن فيه ثمة مصلحة ولكن مفسدته إيش؟ أعظم من مصلحته، إذًا لا بد أن تكون المصلحة راجحة وعليها فلا تكون فيها مخالفة لنصٍ من كتاب الله أوسنة رسول الله —صلى الله عليه وسلم-.

إذا وجد هذان الأمران فهي سياسات شرعية، ولو لم تكن منصوصه بالنص عليها، إذًا كل ما حقق مصلحة راجحة للناس ولم يكن مخالفًا من كتاب ربنا وسنة نبينا –صلى الله عليه وسلم– فهو من السياسية الشرعية، ثم إنه ليصدر عن ولي الأمر أفعالٌ وأقوالٌ وقرارات على مر التاريخ، مما قد يراه هو مصلحة، ويراها أهل مشورته وأهل العلم والخبرة عنده بأنَّه مصلحة، فيقال فيما تقدم، إن كانت مصلحته راجحة ولا يخالف نصاً فهي سياسة شرعية منه، وأما إذا كانت مفاسده أكبر ومخالِفة لنصٍ من كتاب الله وسنة رسوله —صلى الله عليه ويلم– مخالف للشرع، مخالف لقواعد الشرع أو لأدلته، أو لإجماع الصحابة –رضي الله عنهم– فنقول: هذه الآن منه سياسية جائرة مخالِفة للشرع، ومعصية عنه صادرة، مخالفة للشرع، فكيف نتعامل معها؟

نقول لا يكون حديث الناس، ويخوض فيها من يعلم ومن لا يعلم، ولكن من رأى أنَّ هذا الصنيع من ولي الأمر ليس مما هو داخلٌ في السياسة الشرعية، بمعناه مصلحته راجحة ولم يخالف الكتاب والسنَّة فهو سياسة شرعية، لأنَّ أي شيئ يحقق المصلحة للنَّاس ولا يخالف الكتاب والسنة فثمة شرع الله، كما يقول ابن القيم: فثمة السياسة الشرعية.

إذاً من رأى أنَّ في صنيع ولي الأمر ما فعله –بغض النظر عن الأمثلة التي تفضلت بها– داخل في السياسة الجائِرة لا في السياسة الشرعية، فهذا له السبيل، مناصحته بالطرق الشرعية، من كان له نصيحة ذي سلطان، محاورته، مناقشته، الذهاب إليه، فلربما بان للمعترض ما دلَّه على أنَّما صنع سياسة شرعية صحيحة، ليست من قبيل السياسة الجائرة المخالِفة للسياسة الشرعية، وهذا باب مهم يطول في الحقيقة، ولكن بالرجوع لهذين المصدرين؛ كتاب ابن القيم وكتاب ابن تيمية، وفهمهما فهماً صحيحًا.

انتبهوا: فإنَّه يوجد صنفان من الناس يدندنان حول هذين الكتابين، وما أحسنوا فهمهما حقيقة، صنفٌ يريد أن يتفلَّت من الأحكام الشرعية، ويسوِّق الآراء الغربية، فيبني على بعض الكلمات العامَّة مثل المصالح وغيرِها.

والصنف الآخر: ممن يسلُك المسلك الحركي السياسي من أبناء الجماعات السياسية الحركية السياسية، ويريد أن يسخِّر هذين الكتابين وبالذات كتاب (السياسة الشرعية)، لشيخ الإسلام فيما يخدم الجماعات.

وهذا غير صحيح، صح لهم جهودٍ من قديم في شرحه و التعليق عليه وطباعته، يظنون أنه يخدم أهدافهم وهذا غير صحيح، فهم هذين الكتابين على ما فهِمه مؤلفهما، وعلى ما فهِمه العلماء الراسخون الموثوقون بعدهما.

وأرى الأخ يشير إلى انتهاء الحوار كليةً، جزاك الله خيرًا وبارك الله فيك، واسأل الله أن يكتب الأجر للجميع، وأن يوفقنا وإيَّاكم وأن يغفر لي ولكم وأن يغفر لنا ما حصل من خطأ أو زلل، أو خطأ في وهم أو معلومة أو سبق لسان، فكل ما حصل من ذلك، فنشكر الله – تبارك وتعالى- وإخواننا الحاضرين والسامعين، أنا نبرأ إلى الله منه، ومن أوقفنا على خطأ فيما ذكرنا كنا له من الشاكرين الدّاعين والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.